

تداخل الأدوار داخل الأسرة الجزائرية

د. حوتى سعاد

جامعة تيارت

د. عبوين سمية

جامعة مستغانم

مقدمة:

الأسرة هي مجموعة منظمة ثابتة نسبيا تشكل أحد أسس الحياة الاجتماعية و في نفس الوقت تمثل نموذجا لنسق تفاعلي يتضمن تحديد الادوار، المكانات و المعايير العلائقية و التصورات التي توجه السلوك (1)

او كما يعرفها P.Dominique بأنها مجموعة من المكانات (أب, أم, ابن) ينضبط بعضها على بعض في نسق من الروابط أين يكون لكل واحد حقوق و واجبات عليه القيام بها (2)

الاسرة تتكون من مجموعة انساق (أنساق و أنساق ثانوية) ، هي كل نشيط يتوقف فيه سلوك كل فرد على العلاقات التي تربطه بباقي الأفراد، فالعلاقة هي تفاعل من خلاله يتم اختراق الأنساق بواسطة الاتصال

في بعض الأسر اللاوظيفية يكون الاتصال مضطرب ما يؤدي الى تداخل في الأدوار

- فما هي خصائص هذا النوع من الأسر؟

- ما الذي يفسر تداخل الأدوار داخلها؟

- ما نتيجة ذلك على المراهق؟

لما تكون العلاقات واضحة و محددة تكون الأدوار واضحة و محددة أيضا لكن في الأسر اللاوظيفية تكون العلاقات متداخلة و ذلك بسبب غياب أو عدم تطور الأنساق فيكون الاتصال مضطرب فيظهر على شكل:

1: Poussin G, la fonction parentale, édition Dunos, 1999,p:121

2: Salim G, l'approche thérapeutique de la famille, Paris, édition Milar Masson,1990,p:67

- الرفض للاتصال le rejet :

في هذا النوع يوضح أحد أفراد الأسرة للأخر بطريقة مرنة أنه غير مهتم بالحديث معه ,ذلك من خلال :الصمت الذي يعيقه و يمنعه من مواصلة الاتصال .

- قبول الاتصال :

فيكون الاتصال سطحي (إجابة على السؤال فقط مع إعطاء أقل قدر من المعلومات)

- إلغاء الاتصال l'annulation de la communication :

يتم ذلك بطرق مختلفة /معارضة,عدم الاستمرارية في الحوار و الغموض,عدم إكمال الكلام (الجميل) ,تغيير الموضوع,مما يسمح بتجنب الاتصال المحتم.

- استعمال عرض ما وسيلة للاتصال :

من بين الأعراض المستخدمة :نوم,عدم فهم اللغة التي يتحدث بها الأخر .ما يمنع الاتصال من بين أعراض الاتصال نجد الأعراض السيكوسوماتية ,هي من الأعراض الخطيرة التي تستعمل في الاتصال مع الأخر و العائلة..

- بنية و مستويات الاتصال المضطرب داخل الأسرة:

الخلط بين المضمون و العلاقة في الاتصال :

المشكل يكون موجود على مستوى العلاقة و لكن يتم نقله إلى المضمون ,مما يؤدي الى ظهور مشاكل بسبب المضمون ، ما يسبب سوء تفاهم متكرر بين الأفراد .

هذا الخلط غالبا ما يحدث بين الزوجين مما يسبب خلاف في الظاهر يكون حول المضمون لكن المشكل موجود في العلاقة .لذلك قد يظهر أحد الزوجين تعارض حول المضمون : فمن الناحية يعتبره مقبولا و منطقيا و صحيحا و لكن في نفس الوقت هو يرفضه ,مما يبين أن الرفض و الخلاف أساسه يكون في العلاقة.

الخلاف : le désaccord

الخلاف يظهر على مستوى العلاقة أو المضمون (لكن كل مستوى مرتبط بالآخر).فإذا ما الآخر مضمون الاتصال و تقدير الطرف الآخر على معلوماته

أو يرفض المضمون و البحث عن الانتقام من الآخر بنفس الطريقة (لأنه إذا أثبت أن مضمون الاتصال صحيح فذلك في نفس الوقت هو يقلل من قيمة الآخر على مستوى la métacommunication ولذلك يسعى من خلال الاتصال إلى التقليل من قيمته أيضا).

فنجده يحاول أن يوصل فكرة للطرف الثاني مفادها أن معلوماته صحيحة و لكنها ليست مهمة.

مفهوم الذات و الآخر:

في العلاقة و الاتصال يتحدد مفهوم الذات و مفهوم الآخر و لكن يتم ذلك بطريقة ذاتية داخلية .أثناء الاتصال باختلافه يحاول الفرد تقديم صورة عن ذاته للآخر .بالمقابل ردة فعل هذا الأخير تصنف في 3 أنواع:

- التأكيد: من خلال الاتصال ,الطرف المستقبل يؤكد المفهوم الذي يقدمه الأول عن ذاته ,مما يحقق له النضج و الثبات العاطفي .

هذا يوضح أهمية الاتصال في الحماية و الحفاظ على الآخر ,فمن خلاله يتعرف الفرد على ذاته و يعي بها .و بالتالي فان العلاقة و الاتصال هو في الحقيقة دعم كل طرف للآخر.

"إن أساس تواصل و عيش الإنسان مع الآخر مزدوج: الرغبة الموجودة لديه رغبة الدعم و التأكيد من طرف الآخر و استعداده الفطري للاستجابة لهذه الرغبة الموجودة لدى الآخر.

- الرفض: النوع الثاني من الاستجابات هو الرفض ,الاستجابة بالرفض تكون بطريقة مباشرة و تسبب تعب و مشقة كبيرين.

الرفض لا يعني دائما رفض حقيقة فكرة الآخر عن ذاته (قد يدرك أن الفكرة صحيحة و لكن يرفض ,المشكل في العلاقة).

- الإنكار و النفي: في الأنواع السابقة من ردود الأفعال هناك استقبال للمعلومة و الرد عليها بالقبول أو بالرفض ,في هذا النوع هناك إنكار لكل ما يقال ,إنكار للمضمون لا يسمح لا بالتأكيد و لا بالنفي, النفي يكون للآخر كمصدر للمعلومة, مما يؤدي إلى فقدان الأنا.

تسمى العائلات التي يكون فيها خلط للأدوار بالعائلة السيكوسوماتية

العائلات السيكوسوماتية:

العائلة تضم مجموعة من التنظيمات ,هذا النمط من العائلات يسمى بالعائلات السيكوسوماتية.(1)

هذا النموذج حدده Minuchin et coll في 1978 يجمع 4 خصائص وظيفية خاصة بهذا التنظيم هي:

اشتباكات (تعقيدات) l'enchevêtrement

حماية زائدة la surprotection

القسوة la rigidité

le manque de negotiation و حل الصراعات et de resolution aux conflicts

الاشتباكات (التعقيدات):

هذه الاشتباكات و التعقيدات سببها شكل مفرط من الاقتراب و حدة في التفاعلات العائلية, مما يؤثر على العائلة, الأنظمة التي تكونها و على الأفراد أيضا.

على مستوى العائلة: العائلة تكون معقدة و متداخلة, الحدود بين الأفراد و الأنظمة غير موجودة لذلك أي تغيير بسيط لدى فرد من أفراد العائلة أو على مستوى العلاقة بين فردين يؤثر على النظام ككل.

1-http://pages.usherbrooke.ca/ses243_bvc/notesdecours_modelgénéral.htm

أي صراع يحدث بين الشئاني يؤدي إلى ظهور مجموعة اتفاقات coalition سريعة, متغيرة داخل العائلة و أي تدخل و تغيير على مستوى أحد الأفراد يبعث من خلاله إلى الآخر رسائل مما يعرقل الاتصال المباشر.

" سلوكات تحريضية, اضطراب في الاتصال: نقل المشكل العلائقي إلى مضمون الاتصالات, اتفاقات كثيرة و متغيرة.. "

- على مستوى الأنظمة داخل العائلة: تمايز الأنظمة فيما بينها ضئيل, الحدود بينها غير محددة و واضحة, كما أنها ضعيفة مما يسهل تجاوزها و خرقها, مما يفسر عدم قيامها بوظائفها الخاصة بالكيفية المناسبة.

في ظل غياب الحدود الفعالة تصبح المراقبة الوالدية غير فعالة فيسير الأطفال النظام العائلي: بعض الأطفال يتصرفون بطريقة غير مناسبة بدل الوالدين (سلوكات الوالدين) أمام بقية الأطفال في العائلة و أحيانا حتى أمام الوالدين و معهم.

كما يستخدم الطفل من طرف أحد الوالدين ضد الآخر la coalition خصوصا عند اتخاذ القرارات , فيقوم الطفل باتخاذ القرار بدل الوالد. كما يمكن أن يتدخل أيضا داخل النظام الوالدي لحل المشاكل الموجودة فيه (مما يوضح غياب الحدود و التجاوزات المختلفة).

- على المستوى الفردي: حتى التمايز بين الأفراد ضئيل جدا في هذه العائلة, لأن كل الأفراد مراقبون من خلال النظام العائلي, فيتوه الفرد داخل النظام كما أن التصرف بطريقة متميزة صعب جدا. ذلك لأن الحدود التي توضح الاستقلالية ضئيلة جدا.

إن التعاون المفرط يسبب نقص في الخصوصية : أفراد العائلة يتدخلون في أفكار الآخر و مشاعره أيضا , فيكون استعاب كل للآخر و للذات أيضا ناقص. فيدفع الفرد إلى الانعزال عن العائلة.

2) الحماية الزائدة:

تتمثل في الاهتمام الزائد بالراحة الجسدية للآخر, هذا الاهتمام يتجاوز الفرد كما يتجاوز إطار معين:مرض..

استجابة هذه العائلة تكون من النوع الوقائي المغذي و بشكل زائد , كما أنها تهتم بإشباع الحاجات المادية الجسدية و تجد صعوبة كبيرة في إشباع الرغبات العاطفية.

أفراد هذه العائلة يظهرون حساسية زائدة اتجاه حالات القلق و الإنذار , استجابات قوية اتجاه الصراعات و الضغوطات بسلوكات وقائية للتعويض (لا تحل المشكل) بدل محاولة فهمه و حله أو وضع قواعد جيدة تستجيب مع الحاجات الجديدة.

هذه الحماية الزائدة تؤخر نمو الأطفال نحو الاستقلالية و استغلالهم لإمكانياتهم و اهتماماتهم البعيدة عن العائلة (مما يؤدي إلى الخضوع, فقدان الثقة بالذات..)

3) الصرامة:

هي تشير إلى الجهود الكبيرة المبذولة حتى يستمر النظام . فلما يحدث أي تغيير و تطور (باعتبار أن النظام متطور) تتعرض العائلة لصعوبات كبيرة .

ففي العائلات التي وظائفها سليمة يكون لديها القدرة على التغيير من قواعدها بما يتناسب مع التغيرات الحاصلة . لكن العائلات السيكوسوماتية تحافظ دائما على نفس التفاعلات القديمة رغم التغيرات التي تحدث .

فكل مواضيع التفاعل التي قد تؤثر على العائلة و تسبب تغيرات يتم إخفاؤها و عدم السماح لها بالظهور على السطح. تنفي كل حاجات التغيير الخاصة بالعائلة , مما يجعل أفرادها و نظامها ضعيفين أمام التغيرات الخارجية مما يضعف الحمل على العائلة و يؤثر على الميكانيزمات المضطربة المستعملة للتعامل مع القلق و يسبب مضاعفات مرضية.

إن الصرامة و الحماية الزائدة في النظام العائلي السيكوسوماتي مع التجاوزات المختلفة مثال للعلاقات المعقدة التي تجعل العائلة لا تستطيع تحمل الصراعات.

4) النقص في التفاوض و حل الصراعات:

كل نظام و كل العلاقات التي تربط بين الأنظمة معرضون لمشاكل و صراعات خاصة.

إن الأفراد الموجودين داخل العائلات السيكوسوماتية تطورهم يكون ضعيف. أيضا الزوجان في هذه العائلات يكونان نظام ضعيف (لم يتعلموا كفاية كيف يتم التبادل و المناقشة فيما يخص حاجاتهم)

الصراعات تسبب تهديد و إنذار كبيرين للعائلة و كل التعاملات و المفاوضات لحل تلك الصراعات يتم تأجيلها لوقت لاحق.

من أجل تجنب تلك الصراعات ,العائلات تستعمل استراتيجيات خاصة للتجنب:

أ/التجنب l'évitement: باستخدام مبررات و مبادئ دينية و أخلاقية و ذلك من أجل تبرير تجنب المشاكل و الصراعات . نتيجة ذلك مشاكل عالقة بدون حلول مما يسبب تهديد مستمر للعائلة و بالتالي استمرار مستمر للتجنب .

بين الزوجين يوجد اتفاق ضمني : في حال وجود مشاكل حساسة فان أحد الولدين يعتمد على التجنب , لا يظهر حتى يعود الهدوء بينما الوالد الثاني هو الذي يعرض تلك المواضيع .

ب/النفي le déni: الكثير من العائلات السيكوسوماتية تنفي وجود مشاكل مهما كان نوعها. لا تجد أي حاجة للاختلاف و تستثمر الكثير من المجهودات للإبقاء على الانسجام و الاتفاق داخل العائلة.

ج/ الانتشار la diffusion: عائلات سيكوسوماتية أخرى موجودة دائما في حالة عدم اتفاق مفتوح , لكن التدخلات الحاصلة و تغيير المواضيع يؤدي إلى اختفاء الصراع قبل أن يطفوا و يظهر . من أجل الحفاظ على مستوى معقول من الصراع و عدم تجاوزه فتحدث تدخلات مختلفة من كل أفراد العائلة فيتمكنون من مراقبة الوضعية من خلال التغيير في وضعياتهم حتى تصبح المواضيع الصراعية بسيطة.

نتيجة تجنب و استسهال هذه المشاكل تصبح العائلة عاجزة على مواجهتها و البحث عن حلول لها (هي سهلة أو غير موجودة بالتالي لا تحتاج لمواجهة وحل).

خصائص أخرى للعائلة السيكوسوماتية:

في العائلة السيكوسوماتية هناك نقص في الاستقلالية و الخصوصية ,مجموع القيم و القواعد التي تحدد العلاقات صارمة جدا , لا تتوافق مع الثقافة و الظروف الجديدة , مما يعرقل خضوعهم لتجارب و تكوين آرائهم و اتجاهاتهم

صدق و استقامة مفرطة داخل العائلة مع تضامن إجباري و حتمي بين أفرادها , مع وجود قاعدة ضمنية داخل العائلة تنص على ضرورة التخلي عن حاجات الفرد الذاتية مقابل راحة و هدوء باقي الأفراد.

أي بحث عن الاستقلالية تعتبر خيانة و تمرد يسبب شعور بالذنب حاد و جسيم يؤدي إلى سلوكيات تدميرية موجهة نحو الذات .

بعض الحاجات الأساسية لا يتم إشباعها كالحاجة إلى التبادل العاطفي..

بصفة عامة التعبير عن المشاعر قليل داخل العائلة

لما تقع العائلة في وضعيات صعبة ,يتحتم على أفراد العائلة التشارك و التضامن و العمل أكثر (أكثر من قدراتهم) و رفض أي تعاون. النشاط يكون داخلي و رفض لأي مساعدة خارجية.

هذه الأعراض لها قيمة تعبيرية كبيرة بحيث تصبح الوسيلة الوحيدة للاتصال في ظل رفض كل وسائل الاتصال الأخرى (التبادل العاطفي, المناقشات, التكيف مع الظروف الجديدة..).

ان المراهق داخل هذا النوع من العائلات التي تختلط فيها الأدوار و العلاقات يعيش مراهقة صعبة أين العالم الافتراضي يأخذ مكان العالم الواقعي, يلجأ اليه المراهق هروبا من واقع صعب يعيشه مما يرفع من احتمالية الادمان على الانترنت باعتبار أن الانترنت يسهل الاتصال و التواصل الانساني .

الانترنت حول العالم الى قرية صغيرة أين أختصرت المسافات الاجتماعية من خلال ما يسمى بالقرب الافتراضي la proximité virtuelle, الانترنت يتميز أيضا بالفورية l'immédiateté. الانترنت موقع للاكتشاف (1) يكون فيه المراهق حر, يحس فيه بالاستمرارية, موقع اجتماعي يسمح للمراهق باختيار الهوية التي تناسب مع مزاجه, يعبر عن ذلك بالرسائل و الصور, الانترنت يسمح باختيار هويات افتراضية متعددة و هذا ما يسمى بفصام الانا في شبكة الانترنت schizophrénie du moi en réseau (2)

1:Xavier D'Auzon, adolescence et communauté de contestation,cahier de psychologie politique,revue d'information de réflexion et de recherche ,revue n° 8

2: Sherry Turkle,espace réel et virtuel, revue des sciences humaines et sociales , édition de boeck université, 2000,n°68